صوت الأزهر

جامعاً وجامعة

رئيس التحرير
سليمان قناوى

١٤ صفحة | ١ جنيه

www.Alazhar.gov.eg

الجمعة ١٦ من شعبان ١٤٣٣هـ - ٦ من يوليو ٢٠١٢م

هل دُفن نبى الله «دانيال» بالثغر؟

بقلم:
د. خالد محمود هيبة

العل الكثير من الناس يعلمون أن بالإسكندرية شارعاً هاماً يعتبر من أهم شوارع المدينة ويحمل ذات المسمى لنبي الله (دانيال)- (عليه السلام)، حيث يحوي على جانبيه العديد من المنشآت الهامة بالثغر، كما يحوي الشارع العديد من المباني الدينية ككنيس- معبد- (الياهو النبي) لأبناء الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية؛ حيث كان يعتبر ذلك الكنيس اليهودي هو الرئيسي بالثغر لأبناء تلك الطائفة، وذلك قبل هجرة اليهود من مصر في أعقاب العدوان الثلاثي عام (١٩٥٦م)، كما يحوي العديد من المساجد كمسجد العارف بالله (سيدي عبد الرزاق الوفائي) حيث بني على أنقاض أحد المعابد الرومانية، ومسجد (النبي دانيال)؛ والذي حمل الشارع ذات مسماه ويحوي بعض من مقابر أبناء (الأسرة العلوية) بالإسكندرية؛ حيث دفن والى مصر (محمد سعيد باشا) عقب وفاته بالإسكندرية عام (١٨٦٣م)، والأمير (طوسون) وغيره من الأمراء والنبلاء من أبناء الأسرة المالكة السابقة، كما دفن به من العديد المشاهير أيضاً كمحافظ الإسكندرية الشهير (محرم بك) وغيره من كبار رجال الإسكندرية.

يعد شارع (النبي دانيال) واحداً من أقدم شوارع المدينة، حيث يعود تاريخه إلى نشأة المدينة ذاتها وتأسيسها عام (٣٣٢ ق.م)، حينما فتح (الإسكندر الأكبر) مصر وأسس مدينة الإسكندرية، فعهد بذلك إلى المهندس والمخطط (دينوقراطيس)، حيث قام بتخطيطها تبعاً للنظام الشطرنجي الشائع في تخطيط المدن الإغريقية حينذاك، ويعتمد ذلك النوع من التخطيط على وجود مجموعة من الشوارع المتعامدة مع وجود شارعين رئيسيين متعامدين: الأول ممتد من الشرق إلى الغرب، وكان يسمى شارع أو طريق (كانوب)- طريق (الحرية) حالياً، وهو الموصل إلى جهة (كانوب) أو (أبو قير) الحالية، لذلك مازال العامة يطلقون على امتداده مسمى شارع (أبو قير)- أي الموصل لأبي قير، والثاني سمي بشارع (السوما) ويمتد من الشمال إلى الجنوب، ومحله شارع (النبي دانيال) حالياً. وكلمة (السوما) تعني (الجبانة الملكية)، وتقع كما يذكر العالم المصري الجليل (محمود باشا الفلكي) في دراسته القيمة التي وضعها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حول (مدينة الإسكندرية) عند تقاطع طريق (الحرية)- شارع (فؤاد سابقاً)- مع شارع (النبي دانيال) حالياً.

ومسمى (النبي دانيال) ينسب إلى أحد أنبياء اليهود، وهي ملاحظة وجدها البعض من المؤرخين جديرة بالدراسة، حيث سمي العديد من المساجد في مصر بأسماء تنتسب إلى أنبياء ورسل سبقوا الإسلام. وربما المسيحية كذلك، ومع الدراسة أعاد المؤرخون هذا الأمر إلى سببين: السبب الأول أن هذه المساجد ربما كانت معابد أو كنائس قديمة؛ تحولت في بعد الفتح الإسلامي لمصر والإسكندرية إلى مساجد كجامع (العطارين)، أو جامع (سان أثناز) الذي بني مكان كنيسة (سان اثناسيوس)، ومسجد (الألف عمود) أو (السبعين)؛ الذي يقال أنه بنى مكان معبد يهودي كان ينزل به (السبعين حبراً) الذين ترجموا التوراة، أو ربما تكون قد تم بنائها في ذات مواضعها، أما السبب الثاني فهو يرجع إلى وجود جاليات كبيرة من اليهود في الإسكندرية خلال العصر الروماني، حيث سكن هؤلاء في مناطق معروفة ومحددة أطلق عليها أسماء أنبيائهم، وظلت هذه الأسماء متداولة في القصص والموروث الشعبي حتى جاء العرب والمسلمين في أعقاب الفتح الإسلامي لمصر؛ فقاموا ببناء المساجد حيث عُرفت بالأسماء الشائعة والمعروفة في تلك المناطق، والتي أبقى عليها المسلمون، وذلك في إطار من التسامح الذي حض عليه صحيح الإسلام.

ويظن البعض من العامة أن بالمسجد المسمى (النبي دانيال) بذات الشارع قبر ذلك النبي اليهودي، وهو أمر غير صحيح، حيث يذكر (ياقوت الحموي) في مصنفه الموسوعي الشهير (معجم البلدان)؛ بأن قبر ذلك النبي- (النبي دانيال)- (عليه السلام)- يقع بمدينة (السوس)، وهي بلدة تقع بإقليم (خوزستان) بإيران.

بينما يذكر البعض الأخر أن المسجد ينتسب إلى الشيخ (محمد دانيال الموصلي)، وهو من الأطباء الشعراء، وهذا ما تؤكده الدكتورة (سعاد ماهر) في موسوعتها القيمة (مساجد مصر وأوليائها الصالحون)، بينما يورد (المقريزي) في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) ترجمة للشيخ (محمد دانيال الموصلي)؛ فيذكر أنه ولد في (الموصل) بالعراق وجاء إلى مصر صغيراً، ليعيش ويتوفى في (القاهرة) عام (٧١٠هـ-١٣١٠م)، وهو الأمر الذي ينفي انتساب المسجد إلى ذلك الشيخ الجليل، لذلك فمع هذا الاختلاف الواضح في سبب التسمية؛ فيكون من المرجح ما ذكره البعض من المؤرخين من كون ذلك المسجد كان أحد معابد اليهود قبل أن يتحول إلى مسجد، حيث أطلق عليه اليهود المقيمين في الإسكندرية لقب أحد أنبيائهم وهو (النبي دانيال)- (عليه السلام)، ومع مجيء العرب بعد الفتح الإسلامي تم تحويله إلى مسجد مع إبقاء ذات المسمى، وبخاصة وأن جميع الأنبياء والرسل ممن أرسلهم الله عز وجل سواء إلى اليهود أو إلى النصارى وغيرهم من الأمم؛ يؤمن بهم المسلمون جميعهم، حيث لا يصح إسلامهم ويكمل إلا بالإيمان بهؤلاء الأنبياء والرسل جميعهم- (عليهم جميعاً السلام)- وبما جاءوا به، لذلك ظل المسمى باقياً كما هو وللآن- (النبي دانيال)- باعتباره نبي الله وليس نبياً خاصاً لليهود.

وقد لازمت مسجد (النبي دانيال) العديد من القصص والأساطير حول مكان دفن (الإسكندر الأكبر) مؤسس مدينة الإسكندرية به، على الرغم أنه من الثابت تاريخياً وفاة (الإسكندر) في (بابل) ببلاد الرافدين؛ ليقع التنازع مابين قادته علي مكان دفنه، فكان كل منهم يريد أن يدفنه في الولاية التي يحكمها بعد تقسيم الإمبراطورية التي أنشأها (الإسكندر)، حيث أُشيع أن البلد الذي سيدفن فيه سيعم عليه الخير والنماء، فقام (بطليموس الأول) بإقناع الجميع بدفنه في واحة (سيوة) في مصر، حيث تم إعلان (الإسكندر) فيها ابناً للآله (آمون)، وبالفعل جهز (بطليموس) قواته لنقل ناووس (الإسكندر)، إلا أن حاكم مقدونيا (بيرديكاس) قام بمحاربة قوات (بطليموس) في معركة دارت قرب (دمياط) للاستيلاء علي ناووس (الإسكندر) ونقله إلى (مقدونيا) ليدفن هناك، وهزم (بيرديكاس) في المعركة، إلا أن (بطليموس الأول) خشى وقتها أن يستمر في دفن الجثمان في (سيوة)، إذ أنه من الممكن أن يأتي أحدهم عبر الصحراء ويسر.

الجثة، كما أن (سيوة) بعيدة عن العاصمة (الإسكندرية)، فقرر (بطليموس) أن تدفن في (الإسكندرية)، وكان الأمر ودفن الجثمان علي الطريقة المصرية، ولم تذكر المراجع التاريخية كيف تم نقل الجثمان أو مكان دفنه؛ بيد أنّ مصادر أخرى تفيد بوجود قبر (الإسكندر) في (العراق) مستدلين على وجود ضريح شهيرهناك يعتقد أنه مدفون فيه.

وقد تصاعدت هذه القصص وتلك الأساطير، وبخاصة بعد أن أجرى العالم المصري (محمود باشا الفلكي) دراساته، حيث أوضح أن اسم الشارع القديم هو (السوما)، وتعني كلمة (السوما)- كما سبق ذكره- (الجبانة الملكية)، وحدد (الفلكي) مكان هذه (الجبانة) في موقع يقع على بعد بعض خطوات من مسجد (النبي دانيال)، الأمر الذي دعم تلك الأساطير وهذه الروايات لدى الكثيرين بذلك، إلا أن الحفائر التي أجراها (الفلكي) خلال فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تسفر عن اكتشاف ذلك القبر، الأمر الذي أكده بعد ذلك العالم الأثري (حسن عبد الوهاب) في حفائره داخل المقبرة الموجودة في المسجد، ليجد أنها عبارة عن مقبرة إسلامية ترجع إلى حوالي ألف عام فقط، بينما الثابت تاريخياً ودينياً أن نبي الله (دانيال)- (عليه السلام)- قد توفى قبل إنشاء (الإسكندرية) بحوالي ثلاثة قرون كاملة- أي منذ حوالي ألفين وستمائة عام، حيث عثر على بعض الشواهد الأثرية التي تدل على أن تلك المقبرة تعود فقط إلى القرن الرابع الهجري، ليتأكد بذلك أن سبب التسمية- (النبي دانيال)- يرجع لليهود المقيمين في المدينة في ذات المنطقة قبل الفتح الإسلامي لمصر والإسكندرية.

وعلى الرغم من ذلك كله فقد كان لقبر (الإسكندر) ولعه الذي أصاب الكثيرون، ومنهم النادل- (الجرسون)- اليوناني الشهير (ستيلو) والذى كان يقيم ويعيش في الإسكندرية، وأراد أن يقوم بالحفر فى منطقة (محطة الرمل) للبحث عن قبر (الإسكندر)، وقد أفنى حياته في التنقيب عن ذلك القبر، كما كان عمله ذلك مثاراً لاهتمام الكثير من المثقفين والعلماء والدارسين، ومنهم العالم الجليل الدكتور (فوزي الفخراني) صاحب الرؤية العلمية الخاصة والفريدة في تحديد موقع قبر (الإسكندر)، والذي يرى خطأ نظرية أن يكون قبر (الإسكندر) واقعاً بشارع (النبي دانيال).

وقد لفت مسجد (النبي دانيال) نظر الحكام والولاة من أبناء الأسرة العلوية، فتم تجديد المسجد خمس مرات خلال عهدها الممتد طيلة ما يزيد عن القرن والنصف من الزمان (١٨٠٥- ١٩٥٣م)، حيث كانت من أهم تلك التجديدات ما تم في القرن التاسع عشر حينما جدده ووسعه مؤسس الأسرة العلوية (محمد علي باشا) عام (١٢٣٨هـ- ١٨٢٣م)، في إطار رعايته وعنايته بالإسكندرية وعمرانها خلال تلك الفترة، وبعدها جدده مرة أخرى والي مصر (عباس باشا) عام (١٢٦٧هـ- ١٨٥٢م) وبتكلفة بلغت ١٩ ألف قرش- كما ذكر ذلك (علي باشا مبارك) في خططه؛ حيث جدده (عباس) من الداخل والخارج كما جدد منارته، وشيد به مدفناً خاصاً للعائلة العلوية المالكة.

ليستمر التطوير يشمله طيلة القرن التاسع عشر وخلال مختلف العصور والعهود، حتى كان آخر تطوير له في نهاية القرن العشرين ليصبح على وضعه الحالي بنهاية الشارع الذي يحمل ذات المسمى- (النبي دانيال).

وهكذا ارتبطت الأساطير والحكايات بمسجد (النبي دانيال) وشارعه الشهير، تارة تحكى أن (الإسكندر الأكبر) مدفون فيه، وتارة أخرى تزعم أن نبي الله (دانيال)- (عليه السلام)- هو الذي دفن به، وذلك على العكس تماماً مما أقره المنطق والدراسات العلمية والتاريخ؛ الذي كان على موعد ليسطر لنفسه في ذلك الشارع التاريخي صفحة جديدة من صفحات تاريخ الإسكندرية، وليبرهن ذلك من جديد على مدى تسامح الإسلام والفاتحين المسلمين مع أبناء البلاد المفتوحة، فما أعظم الإسلام وعقيدته السمحاء. ألا ليت قومي يعلمون.